

الواقع والرهانات السوسيواقتصادية للسياحة الثقافية

Reality and socio-economic bets for cultural tourism

خلدون بايع راسو	عبد السلام بغزيم*
جامعة باتنة 1 (الجزائر)	جامعة باتنة 1 (الجزائر)
b.khaldoun1199@gmail.com	abdesslem.baghzim@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام: 28./03../2022 تاريخ القبول: 28./05../2022

الملخص:

لا يزال موضوع التنمية المستدامة يثير انشغال الدول والحكومات والباحثين، لارتباطه الوثيق بالاستغلال الرشيد لما هو متاح من الموارد الطبيعية أو الثقافية أو غيرها من جهة، والمحافظة على حق الأجيال القادمة في الانتفاع من هذه الثروات من جهة أخرى ولأن تحقيق التنمية المستدامة مرتبط أيضا بتحقيق التنمية الشاملة في جميع القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإدارية فإنه يتطلب بدوره تنسيقا وتفاعلا بين مختلف هذه القطاعات، ويعتبر النشاط السياحي ذو الطابع الثقافي نموذجا للشراكة بين قطاع السياحة والثقافة في مجال التنمية المستدامة، فهي من جهة شراكة تعمل على البحث عن موارد اقتصادية جديدة لتنويع مصادر الدخل بعيدا عن التبعية المفرطة للبترول، وهي شراكة أيضا يجب أن تأخذ بعين الاعتبار المحافظة على التراث الثقافي المادي واللامادي للدولة.

كلمات مفتاحية: الثقافة؛ السياحة الثقافية؛ التنمية المستدامة؛ التراث الثقافي.

Abstract

The issue of sustainable development continues to concern States, Governments and researchers, because it is closely linked to the rational exploitation of available natural, cultural or other resources, and the preservation of the right of future generations to benefit from these wealths on the other hand, and because achieving sustainable development is also linked to the achievement of comprehensive development in all economic, social, cultural and administrative sectors, it in turn requires coordination and interaction between these different sectors, and cultural tourism activity is a model of partnership between the sector Tourism and culture in the field of sustainable development, on the one hand, is a partnership working to seek new economic resources to diversify sources of income away from excessive dependence on oil, a partnership that must also take into account the preservation of the material and material cultural heritage of the State.

Keywords: Culture, Cultural tourism, Sustainable development, Cultural heritage.

أصبح موضوع التنمية الشغل الشاغل لجل الحكومات والدول ومختلف الدراسات والبرامج الاقتصادية والسياسية خاصة مع التطور في مفهوم التنمية الذي كان يتوجه مباشرة إلى المجال الاقتصادي، إلا أن العديد من التجارب الدولية المتراكمة أكدت على أن تحقيق التنمية الاقتصادية لا يعني بالضرورة تحقيق الرفاهية الاجتماعية، ومن هنا أصبحت الجهود والدراسات تؤكد على حتمية الارتقاء بالتنمية الاقتصادية إلى تنمية شاملة تنعكس على مختلف جوانب الحياة والانشغالات اليومية للمواطنين سواء كانت اقتصادية، اجتماعية أو ثقافية وغيرها من المجالات التي تشبع الحاجات الإنسانية، كما أن تحقيق التنمية الشاملة لا بد أن يتميز بالاستمرارية والاستدامة من اجل المحافظة على حق الأجيال في الانتفاع من مختلف الموارد الحالية للدولة.

ومن هنا كان لزاما التفكير في كيفية تحقيق تنمية تشمل مختلف الأبعاد المجتمعية، لذا اتجهت الأنظار إلى ميادين كانت مهمشة إلى حد ما، بغية مساعدة الاقتصاديات لتحقيق التنمية، ومن أهم هذه الميادين قطاع السياحة الذي بات يستقطب ميزانيات واستثمارات ضخمة، انعكست ايجابيا على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للدول، وترتبط السياحة كمورد اقتصادي مستدام وكعامل مهم لتحقيق التنمية المستدامة ،بالعديد من المقومات البيئية والتاريخية والدينية والثقافية وحتى التكنولوجية التي تسهم في عملية استقطاب السائحين وتحويل الدول إلى وجهات سياحية.

إذن تعتبر الثقافة بدورها محفز للنشاط السياحي من خلال الموروث الثقافي المادي واللامادي ومن أهم عوامل الجذب السياحي، وتعتبر الجزائر من الدول التي تزخر بعوامل ومقومات للسياحة الثقافية لما لها من تاريخ ثقافي متنوع يمتد عبر آلاف السنين يسمح بان يكون عامل مهم في تحقيق التنمية الشاملة والمستدامة ،إلا أن هذا التراث الثقافي يجب أن يحظى بالعناية الكافية لعلاقته المباشرة بالتنمية، بالإضافة إلى الرمزية الاجتماعية والتاريخية التي يكتسبها البعد الثقافي لأي دولة، ومن هنا بات لزاما على القائمين على القطاع السياحي الأخذ بالحسبان أهمية البعد الثقافي للسياحة، وأهميته أيضا وارتباطه الدائم بالذاكرة الجماعية للمجتمعات وانطلاقا مما سبق نطرح التساؤلات الآتية:

- فما طبيعة العلاقة التفاعلية بين الثقافة والسياحة ؟
- وكيف انعكست هذه العلاقة على المعالم الثقافية في الجزائر ؟
- وما هي أهداف التنمية السياحية المستدامة ؟

2. مفاهيم عامة

1.2 مفهوم الثقافة

تعتبر الثقافة من المفاهيم المتداولة في العديد من الميادين وخاصة الإنسانية ،فالاستعمالات والأبعاد المتعددة لهذا المفهوم أدى إلى تعدد الدراسات والأبحاث التي تناولت الأهمية التي يكتسبها هذا المفهوم في المجالات المختلفة ، وقد تجاوزت التعريفات الخاصة بهذا المفهوم المائي تعريف ،ومن أهم التعاريف المتداولة للثقافة هو تعريف ادوارد بورنيت تايلور (Edward Burnett Taylor) في كتابه الثقافة

البداية (primitive culture) وهي: "كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون القانون والعرف وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع"¹

إذن الثقافة حسب تايلور هي إنتاج فكري وعقائدي ومادي وكل ما يرتبط بالعادات وما يخلقه المجتمع أو يلقيه لأفراده ليطلع سلوكهم بما يتوافق مع مجتمعهم.

ويعرف مالك بن نبي الثقافة بأنها: "توجيه الطاقات الفردية، لتحقيق بناء الفرد في الداخل بالنسبة إلى مصلحته، ولتحقيق مكانه في المجتمع بانسجام تلك المصلحة مع مصلحة المجتمع، والتحديد هذا فيه ما يدخل في نطاق الأخلاق وفيه ما يخرج من هذا النطاق ليدخل في نطاق العلم."²

إذن الثقافة تتركب من البيئة المادية لحياة المجتمع ونسق فكري وأخلاقي وتربوي يحافظ على مصلحة الفرد والمجتمع على حد سواء، فتتجه بذلك غاية هذا النسق لتنشئة أفراد قادرين على تحقيق التوافق بين رغبات وحاجيات الفرد التي تمنح له المكانة داخل مجتمعه، والتي تنسجم مع مصلحة مجتمعه في نفس الوقت.

2.2 تعريف السائح

هو من ينتقل في البلاد للتنزه أو للاستطلاع والبحث والكشف أو غير ذلك.³ (احمد مختار ، 2008، صفحة 1146)

وتعرف منظمة السياحة العالمية السائح (الدولي) بأنه:

"أي شخص يسافر إلى أي مكان مختلف عن بيئته المعتادة لأقل من 12 شهرا متصلة، وذلك لأي غرض من الأغراض بخلاف مزاوله عمل بغرض التكسب".⁴

إذن يتضمن تعريف منظمة السياحة العالمية على بعض الشروط لاعتبار شخص ما سائح وهي:

- السفر الى مكان غير بيئة الشخص المسافر.
- أن لا تزيد المدة عن إثنا عشرة أشهر.
- أن لا يكون السفر لغرض العمل بغرض التكسب .

¹ وليد كاصد الزيدي، (2013)، سياسة فرنسا الثقافية -دراسة حالة لبنان 1959-1986-، بيروت: منتدى المعارف، ص 22.

² مالك بن نبي، (2002)، مشكلات الحضارة تأملات، دمشق: دار الفكر، ص 25.

³ أحمد مختار عمر، (2008)، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة : عالم الكتب، ص 1146.

⁴ محيا زيتون، (2002)، السياحة ومستقبل مصر بين إمكانيات التنمية ومخاطر الهدر، مصر: دار الشروق، ص 16.

ويعرف السائح أو السواح أيضا، بأنهم أناس أمضوا ليلة على الأقل أو أكثر من يوم وليلة في البلد الذي قصدوه، وهدفهم من ذلك التسلية والنزهة والصحة والهدوء والمطالعة والرياضة وغير ذلك.⁵

إذن السائح هو كل من ينتقل إلى مكان ما بغرض التنزه والترفيه والاستكشاف، دون أن يكون هدفه من وراء هذا التنقل البحث عن مصدر للربح أو ممارسة وظيفة، وقد يكون تنقل هذا السائح داخل البلد الذي يعيش فيه أو في بلد أجنبي.

2. 3 تعريف السياحة

"بالرغم من أن مصطلح سياحة يعود تاريخه إلى القرن التاسع عشر (1811م) فإن ظاهرة التطواف (Touring) أو السفر من أجل الاستجمام رافقت تطور النقل والاستكشاف في الشرق الأدنى منذ بواكير الألفية الثالثة قبل الميلاد وقبلها في الشرق الأقصى، ومنذ العام 1500 قبل الميلاد في مصر أين اتضحت علامات مؤكدة على السياحة والسفر بدافع الفضول البسيط أو المتعة، لتنتعش الظاهرة في روما القديمة، أين رافقها تطور في البنية التحتية، ثم تنامت الظاهرة لتعرف المسافرين الأثرياء، وانضم إليهم الحجاج ورجال الدين والطلبة والرحالة، الذين يجمعون بين السفر لأغراض روحية وتعليمية وتوظيفية⁶.

ومن هنا تنامي دور السياحة لتعدد الأغراض والأبعاد سواء الاقتصادية، الثقافية، الاجتماعية أو العلمية ليصاحبها اهتماما مماثلا من الخبراء من شتى الميادين، بغية البحث عن أنجع السبل لترقية الظاهرة السياحية بما يتماشى وأهمية أبعادها المتعددة.

ويعرفها العالم النمساوي Schullerd Hermann von بأنها: "الاصطلاح الذي يطلق على العمليات التالية وخصوصا العمليات الاقتصادية التي تتعلق بدخول وإقامة وانتشار الأجانب داخل وخارج منطقة معينة أو أية دولة وترتبط بهم ارتباطا مباشرا".⁷

ويعرفها السويسري Honziker رئيس "الجمعية الدولية لخبراء السياحة العاملين:

السياحة هي مجموع العلاقات والظواهر التي تترتب على سفر مؤقت لشخص أجنبي في مكان ما كلما أن هذه الإقامة لا تتحول إلى إقامة دائمة وكلما لم ترتبط هذه الإقامة بنشاط يغل ربحا لهذا الأجنبي.⁸

2. 4 تعريف السياحة الثقافية

⁵ داماد مصطفى محقق، (2001). الحقوق الإنسانية بين الإسلام والمجتمع المدني، لبنان: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ص 148.

⁶ طوني بينيتو، (2010)، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، (الغاني سعيد، المترجمون)، لبنان: المنظمة العربية للترجمة، ص ص 404، 405.

⁷ قويدر الويزة، (2010)، اقتصاد السياحة وسبل ترقيتها، الجزائر: جامعة الجزائر، ص 40.

⁸ طالب ديلة وعبد الكريم وهراني، (23/22 نوفمبر 2011)، السياحة احد محركات التنمية المستدامة: نحو تنمية سياحية مستدامة، الملتقى الدولي الثاني حول الأداء المتميز للمنظمات والحكومات، الطبعة الثانية نمو المؤسسات والاقتصاديات بين تحقيق الأداء المالي وتحديات الأداء البيئي، الجزائر: جامعة ورقلة، ص 571.

"هي كل نشاط استجمام يكون الدافع الرئيسي فيه هو البحث عن المعرفة والانفعالات من خلال اكتشاف تراث عمراني مثل المدن والقرى والتراث العمراني والحدائق والمباني الدينية أو تراث روحي مثل الحفلات التقليدية والتقاليد الوطنية أو المحلية"⁹.

إذن السياحة الثقافية هي التنقل المنظم وغير الربحي إلى وجهات تتميز بطابعها الثقافي كالمعالم الأثرية والمتاحف التاريخية قصد الاستكشاف والتعرف على تاريخ وحضارة وعادات وتقاليد مجتمع معين أو من أجل الدراسة لأغراض علمية. ومن هنا تركز وتعتمد السياحة الثقافية بالدرجة الأولى على وجود معالم ثقافية تاريخية تجسد ثقافة دولة أو مجتمع أو منطقة معينة، تسمح باستقطاب وتفعيل النشاط السياحي سواء الموجه للسياحة الداخلية أو الخارجية.

ويعتبر المكون الثقافي للمجتمعات ومعالم الحضارات القديمة أحد أهم العوامل التي تجذب السائحين سواء لأسباب علمية أو استكشافية وهو ما يعطي أهمية لهذه المواقع، ويعكس الأبعاد الاقتصادية التي تمثلها.

3. العلاقة التفاعلية بين السياحة والثقافة

لا شك أن العلاقة الوظيفية والبنائية للمنظومة الاقتصادية تستعجل وتستوجب التنسيق بين القطاعات المختلفة لتحقيق التنمية المستدامة، وفي مجال السياحة الثقافية، فإن العلاقة بين السياحة والثقافة تتطلب رؤية سوسيو اقتصادية وثقافية تراعي الأبعاد الاقتصادية التي تسمح بتحقيق القيمة الإضافية لاقتصاد الدولة من خلال ماتحققه من مداخل إضافية ومن جهة أخرى تراعي الأبعاد السوسيو ثقافية التي تحافظ على التراث الثقافي المادي واللامادي للدولة وللأجيال القادمة، وهذان البعدان لا يجب أن يفصل أحدهما عن الآخر، لأن تحقيق البعد الاقتصادي على حساب البعد السوسيو ثقافي ستكون له تأثيرات على النسق الاجتماعي والثقافي والذاكرة التاريخية للمجتمع، في حين أن التركيز على البعد الثاني على حساب الأول بداعي المحافظة على الإرث التاريخي أو الثقافي للمجتمع سيحرم بدوره اقتصاد الدولة من إيرادات إضافية وهو ما يستوجب التوفيق بين الأبعاد الاقتصادية والسوسيو ثقافية للموروث الثقافي بما يخدم اقتصاد الدولة في مجال السياحة الثقافية ويحافظ على الجانب المادي واللامادي لهذا الإرث الثقافي وفي هذا الصدد تبرز العديد من التفاعلات والتأثيرات في الشراكة بين القطاع السياحي والثقافي:

1- إيجابيات السياحة على الثقافة

"يسعى السائحون للتعرف على المظاهر الثقافية الغريبة والمتفردة، إذ غالبا ما يبدون استعدادا لدفع أموال إضافية للاستمتاع بتلك المشاهد والخبرات"¹⁰، وهو ما يعزز مصادر الدخل سواء لاقتصاد الدولة ككل أو على مستوى المجتمعات المحلية من خلال ما توفره من مداخل إضافية، سواء كانت مداخل مادية مباشرة، أو مداخل معنوية تتجسد في تلاقي الثقافات وفتح المجال للعلاقات الاجتماعية والإنسانية خاصة إذا كانت هذه الثقافات تتقاسم التاريخ والمستقبل المشترك، إذن تسهم السياحة في تدعيم الثقافة من خلال:

⁹ الجمهورية الجزائرية الجريدة الرسمية، (11 فيفري 2003)، (19)، ص 5.

¹⁰ محيا زينون، مرجع سابق، ص 306.

- الإسهام في مد روابط الصداقة بين مختلف الثقافات، وخاصة إذا كانت السياحة الثقافية داخلية أين تتوطد العلاقات الاجتماعية بين أفراد الدولة، وبالخصوص الدول التي تتميز بتنوع ثقافي، وتعتبر الجزائر من الدول التي تتمتع بهذا التنوع في ظل وجود عادات وتقاليد وأن كانت تنتمي إلى جذور متقاربة إلا أنها في الكثير تحمل الكثير من دلالات التميز والانفراد.
- تسهم السياحة الثقافية في مساعدة المناطق النائية والتي تزخر بآثار ومعالم تاريخية من خلال إقامة البنى التحتية كالطرق ووسائل الاتصال التي تسهل الوصول إلى هذه المواقع وهو ما يسهم في فك العزلة عن هذه المناطق النائية، إذن ينعكس الاستثمار السياحي في مجال الثقافة إيجابيا على البنى التحتية من أجل منح السائحين الظروف الملائمة للاستكشاف، وكذلك المحافظة وترميم المواقع الأثرية، أي أن هناك جوانب ايجابية تنعكس على الثقافة من جهة وعلى المجتمعات المحلية من جهة أخرى خاصة المناطق البعيدة عن الأماكن الحضرية.
- "التبادل الثقافي: يعد الوعي بالتبادل الثقافي أحد أهم التأثيرات الإيجابية للسياحة حيث يعمل على تنمية التفاهم بين الشعوب، والذي أصبح الآن فرصة لتبادل المعرفة والأفكار، وفي هذا الصدد لم تصبح السياحة إشباعا للفضول فحسب وإنما تعمل على اكتساب الاحترام والتعاون المتبادل وتبادل المعارف والقيم الثقافية"¹¹، ولا يقتصر مجال التبادل الثقافي بين الدول فقط، وإنما داخل الدولة الواحدة أيضا أين يصبح التنوع والتبادل الثقافي باعث للسياحة الثقافية الداخلية.
- يؤدي النجاح في المواءمة بين الثقافات والثقافات الوافدة إلى تفعيل عوامل الضيافة ونشوء أجواء المودة والصداقة من خلال التواصل بين الوافدين والسكان الأصليين.¹²
- العمل على المحافظة على المعالم التاريخية سواء من خلال التشريعات والقوانين أو من خلال عمليات الترميم للمحافظة على جاهزية و جاذبية هذه المواقع الأثرية للنشاط السياحي.

2- سلبيات السياحة على الثقافة

كما تلعب السياحة دورا مهما في التعريف بالمووروث الثقافي محليا وعالميا، وتسمح بازدهار الصناعات الثقافية التي تشكل موردا هاما اليوم حتى في الدول المتقدمة، فإنها قد تلعب أيضا دورا معوقا وذو تأثير سلبي سواء على الثقافة المادية أو المعنوية للمجتمعات وخاصة المحلية، ففتح المجال للسياحة دون مراعاة المكونات الثقافية خاصة تلك التي ترتبط بالعوامل العقائدي قد يشكل فرصة لظهور أفكار متطرفة ضد الثقافات الواردة من خلال السياحة الثقافية، بالإضافة إلى ذلك هناك مجموعة من التأثيرات السلبية للسياحة على الثقافة تتمثل في:

¹¹ بوعموشة حميد، (2012)، دور القطاع السياحي في تمويل الاقتصاد الوطني لتحقيق التنمية المستدامة: دراسة حالة الجزائر، مذكرة ماجستير، جامعة فرحات عباس سطيف، ص 40.

¹² منال شوقي عبد المعطي أحمد، (2011)، أسس التخطيط السياحي، مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، ص 151.

- "انتشار الأعمال المنافية للأخلاق والعفة والمغايرة للنظام الاجتماعي العام والثقافة الوطنية، كالتحليل الخلقي والقمار، وشرب الخمر، وتضائل الآداب، والتغييرات السريعة في النماذج السلوكية وحتى السلع الاستهلاكية وتحول السلع اليدوية والفنون الوطنية إلى سلع تجارية".¹³
- في ظل غياب ثقافة سياحية وتنشئة اجتماعية وثقافية لدى افراد المجتمع فان الموروث الثقافي المادي وخاصة المواقع الأثرية وماتحمله من رمزية ونظرا لكونها مفتوحة على الهواء، معرضة أكثر من غيرها لكل أشكال التخريب من طرف قاصديها من السواح، ويعتبر موقع الطاسيلي الذي يتجاوز عمره آلاف السنين من أهم الأماكن السياحية التي تعرضت للتشويه والتخريب .
- إن أهم تأثير سلبي للسياحة هو على البنية الثقافية للمجتمع، وقد بينت العديد من التجارب الدولية في هذا المجال تحول وتأثر السلوكيات في بعض المجتمعات نتيجة للتوافد السياحي "حيث بدأت تظهر التوترات بين الأغراض المتعارضة للسائحين والمجتمعات المضيفة، وتزداد الشكاوى المحلية من سلوك الزائرين في المواقع المقدسة، كما أن وجود السائحين يكون سببا في تغيير مظاهر الاحتفال لإرضائهم ومزاحمة الأهالي الأصليين".¹⁴ وهو ما يفرز تنافرا بين خصوصية ثقافة المجتمعات المحلية وبين مطالب الزبائن السياحيين وكيفية إرضائهم.
- بروز ظاهرة سرقة التحف الفنية والأثرية لما لها من قيمة مادية ومعنوية أين تباع بعيدا عن أعين المراقبة وعن طريق المزادات، وتعتبر الجزائر احد الدول التي تعاني من هذه الظاهرة، وتعتبر في العموم الدول التي تعاني حروب أهلية أو استعمار احد أهم الأماكن المفضلة لسرقة الآثار وقد شكلت الآثار العراقية الثمينة مصدرا هاما لتحويل الآثار والتحف، كما تعرضت في سوريا للبيع والتهريب والتخريب، وقد تعرضت مؤخرا على سبيل المثال "القلعة التاريخية بني حماد والمصنفة عالميا منذ سنة 1980 إلى عملية نهب حوالي 130 قطعة أثرية كانت موجودة بمتحف القلعة، بالإضافة إلى عمليات إهمال وحفر عشوائي وسرقة، زيادة على تهاون الهيئات المعنية في حماية هذا الإرث وترميمه على أحسن وجه بما يتطابق ودفاتر الشروط الموضوعة لهذا الغرض"¹⁵
- وفي ظل هذه السلبيات التي تحول دون تحقيق التنمية السياحية المستدامة، فان هناك مطالب اليوم بإعادة النظر في السياسة والبرامج السياحية التي لا تأخذ بعين الاعتبار المحافظة على الموروث الثقافي للمجتمعات وتمنح الأولوية للمداخل العائدة من السياحة على حساب حق الأجيال في الاطلاع على ثقافتهم المهددة بالتلاشي.
- ومن هنا وجب الأخذ بعين الاعتبار "القدرات التحميلية للمواقع الثقافية بحيث يكون هناك دائما نوع من التوازن بين هذه القدرات التحميلية للمواقع الثقافية، أين يكون هناك دائما نوع من التوازن بين هذه القدرات وأعداد الزوار والسياح القادمين إليها"¹⁶ خاصة في ظل

¹³ داماد مصطفى محقق، مرجع سابق، ص 307.

¹⁴ محيا زيتون، مرجع سابق، ص 307.

¹⁵ البشير بن حليمة، (2017)، أثار قلعة بني حماد تتعرض للسرقة والاحتفال، جريدة الخبر اليومية، ص 22.

¹⁶ منال شوقي عبد المعطي أحمد، مرجع سابق، ص 151.

سياسة الفعاليات والمهرجانات الفنية التي تقام على المسارح والمدن الأثرية القديمة، كمهرجان تيمقاد وغيرها من التظاهرات والتي قد تحمل انعكاسات على المعالم الأثرية تحتاج بدورها لعمليات ترميم.

"كما ظهرت أصوات تنادي بأهمية مشاركة المجتمع المحلي في عملية التنمية السياحية ذاتها وان تؤخذ وجهة نظرهم وآرائهم في هذا الشأن، وضرورة أن تكون للثقافات المحلية آلية تشارك من خلالها في صنع القرارات التي تؤثر في مستقبل ثقافتها"¹⁷، إذ تسمح المبادرات الرامية لأخذ رأي مكونات المجتمع المحلي في العملية السياحية بتفادي أي انعكاسات للثقافات المختلفة للسياح الوافدين على الثقافة المادية وغير المادية المحلية، ويشجع أفراد المجتمع على الإسهام وتشجيع وإنجاح السياسات التنموية في القطاع السياحي بعد منحه صفة الشريك.

4. مفهوم التنمية المستدامة

تتم الدول و الحكومات بموضوع وبرامج التنمية لما لها من تأثير بالغ على مستقبلها، ولم تعد التنمية تعنى بالجانب الاقتصادي فحسب، لان تحقيق هذا الأخير لا يعني بالضرورة تحقيق الرفاه الاجتماعي "لأن التنمية ليست غاية في حد ذاتها بل هي من اجل الإنسان الذي هو أداها وصانعها، ومن ثم ينبغي ألا تتوقف عند مفهوم تحقيق ثروة مادية وبناء اقتصاد متنوع، بل عليها أن تتعدى ذلك إلى تكوين المواطن القادر على الإسهام بجدارة في مسيرة النماء والبناء الشامل".¹⁸

و لاشك إن التحولات المتسارعة التي يعرفها العالم منذ عقود دفع بمختلف الفاعلين سواء حكومات أو منظمات أو مختصين بالبحث عن أنجع السبل للتنمية بل والرفع من القدرات التنموية، إلا أن هذه الديناميكية التنموية وكما تسعى لإشباع حاجيات إنسانية آنية، إلا أنها مطالبة بالمحافظة على حقوق الأجيال القادمة من الموارد الحالية طبيعية أو ثقافية أو غيرها، ومن هنا تبلور مفهوم التنمية المستدامة الذي يؤكد على ضرورة الأخذ بعين الاعتبار حقوق الأجيال في أي عملية تنموية.

وتعرف التنمية المستدامة بأنها: "أساليب علمية مخططة لتحقيق التوازن البيئي بين أنشطة الإنسان وجهوده والبيئة بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من خلال إستراتيجية واضحة وحسن إدارة وتنظيم وتنمية استخدام الإنسان لموارد البيئة المتاحة والتي يمكن إتاحتها لتحسين فرص الحياة للإنسان في المجتمع حاضرا ومستقبلا".¹⁹

وتعرف أيضا من كونها: "نمط تنمية تضمن فيه الخيارات وفرص التنمية التي تحافظ على البيئة والموارد الطبيعية والتراث الثقافي للأجيال

القادمة"²⁰

¹⁷ محيا زيتون، مرجع سابق، ص 309.

¹⁸ ابراهيم العيسوي، (2001)، التنمية في عالم متغير دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها، مصر: دار الشروق، ص 70.

¹⁹ طلعت مصطفى وآخرون السروجي، (2001)، التنمية الاجتماعية المثال والواقع، مصر: مركز نشر وتوزيع الكتاب الجامعي، ص 222.

²⁰ الجمهورية الجزائرية الجريدة الرسمية، (11 فيفري 2003)، (19)، ص 5.

والتنمية المطردة (المستدامة) هي التنمية التي "تؤمن بإشباع حاجات الأجيال الحاضرة دون الانتقاص من قدرة الأجيال المقبلة على الوفاء بحاجاتها".²¹

وترتكز أهداف التنمية المستدامة على جملة من الشروط:

- المحافظة على التوازن بين الموارد المتاحة والحاجيات الأساسية للبشر جميعا على المدى البعيد .
- وضع خطط التنمية للوارد الطبيعية المتجددة وغير المتجددة في إطار زمني يحقق العدالة بين الأجيال.
- تحقيق المشاركة الشعبية الواسعة.
- ترشيد استغلال كافة الموارد ووضع أولويات للاستخدامات المختلفة.²²

إذن تبرز أهمية التنمية المستدامة من خلال سعيها للمحافظة على حق الأجيال القادمة في الاستفادة من الموارد الطبيعية والبيئية والثقافية الحالية، فهي بذلك تمنع سياسة استنزاف الموارد الحالية، وتعمل على التخطيط لبرامج تنمية متوازنة تجسد العدالة وتكافؤ الفرص بين الأجيال، والاستعمال والاستهلاك الرشيد لموارد الدول.

5. التنمية السياحية المستدامة

5.1 المفهوم

كغيرها من القطاعات الاقتصادية تتطلب السياحة المحافظة على علاقات وظيفية وبيئية واجتماعية واقتصادية مع محيطها من اجل تحقيق شرط الاستدامة، إذن فالتنمية السياحية المستدامة: "هي نقطة التلاقي ما بين احتياجات الزوار والمنطقة المضيفة لهم، مما يؤدي إلى حماية ودعم فرص التطوير المستقبلي، بحيث يتم إدارة جميع المصادر بطريقة توفر الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية والروحية ولكنها في الوقت ذاته تحافظ على الواقع الحضاري والنمط البيئي الضروري والتنوع الحيوي وجميع مستلزمات الحياة وأنظمتها".²³

فالتنمية السياحية المستدامة تحقق التوافق والتوازن ما بين المتطلبات الاقتصادية الراهنة والمستقبلية مع الأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الاجتماعية والثقافية والبيئية، التي يتحقق من خلالها طابع الاستدامة، وقد برزت العديد من الآليات والمفاهيم لتحليل وفهم العمل والنشاط السياحي المستدام بغية الحفاظ على البيئة الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية للسياحة المستدامة واحد هذه المفاهيم هو "الطاقة الاستيعابية الذي يعني وجود مستوى معين للنشاط السياحي يؤدي تجاوزه إلى أثار بيئية سلبية، ويمكن هنا التمييز بين أشكال مختلفة للطاقة الاستيعابية وهي:

²¹ ابراهيم العيسوي، مرجع سابق، ص 34.

²² طلعت مصطفى واخرون السروجي، مرجع سابق، ص 225.

²³ طالب دليلة وعبد الكريم وهراي، مرجع سابق، ص 574.

- المادية: وهي الحدود التي تبدأ بعدها الموارد الطبيعية أو المباني والآثار التاريخية أو المواقع السياحية في التعرض للاستهلاك من خلال الاستعمال وتبدأ المشاكل البيئية بالظهور.
- الاجتماعية: وهي مدى تحمل المجتمع المحلي لأعداد وسلوك السائحين في المنطقة السياحية، وأحيانا تعرف من وجهة نظر السائحين أنفسهم بأنها أقل مستوى للاستمتاع يستعد السائحون لقبوله قبل البدء في السعي لمقصد سياحي بديل.
- الاقتصادية: وهي القدرة على استيعاب النشاط السياحي دون أن يتم ذلك على حساب أنشطة أخرى مرغوب فيها مثل الزراعة أو الصيد.²⁴
- وفي مجال السياحة الثقافية فإن الاستدامة تستدعي تضامنا وتكافلا للجهود بين كل مكونات المجتمع والسلطات المسؤولة عن التنمية، وهذا لترابط الغايات والنتائج ومختلف التأثيرات للسياحة ما يتطلب هذا التنسيق، ومن خلال دراسة شملت أربع مدن تراثية في أوروبا وهي لشبونة البرتغالية وروتردام الهولندية وتورين الإيطالية وليون الفرنسية تم تحديد خمس مؤشرات لتطوير السياحة الثقافية:
- "وجود إستراتيجية للإدارة السياحية والذي يعتمد بدوره على التعاون والتنسيق بين المكونات المحلية لإثراء خبرات وتجارب السياح لجذب المزيد منهم.
- نوعية المعلومات والضيافة ويرتبط هذا العامل بقدرة المجتمع المحلي على التعامل والتواصل مع السياح من أجل توفير المعلومات والإرشاد ومساعدة الزوار والسياح.
- توفير مختلف الخدمات كالبنية التحتية من طرق وممرات واتصالات وفنادق ومطاعم .
- تنظيم المهرجانات والاحتفالات وحوافز التسوق والمؤتمرات والندوات واللقاءات من أجل بعث الحياة الثقافية.²⁵

5. 2 أهداف التنمية السياحية المستدامة

- تسعى أي دولة من خلال برامج التنمية المستدامة لتحقيق جملة من الأهداف في قطاع معين، وفي مجال السياحة المستدامة تبرز عدة أهداف :
- "حماية الثقافة المحلية وخصائصها البيئية، الثقافية والاجتماعية (التراث والعادات، الظواهر الاجتماعية والاقتصادية، المستوى الحضاري والثقافي).
 - ترشيد استخدام الموارد السياحية.
 - حماية البيئة من التلوث (الأرض، المناخ، المياه، الحياة، البرية، النمو السكاني)."²⁶

²⁴ محيا زيتون، مرجع سابق، ص 263.

²⁵ منال شوقي عبد المعطي أحمد، مرجع سابق، ص ص 152، 153.

²⁶ هويدي عبد الجليل، (ديسمبر 2014)، العلاقة التفاعلية بين السياحة البيئية والتنمية المستدامة، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، الجزائر (9)، ص 223.

- رفع قدرات الإنتاج السياحي خاصة عن طريق الاستثمار السياحي، مع الحرص على تثمين التراث السياحي الوطني.²⁷

إذن من خلال هذه الأهداف فإن السياحة المستدامة تسعى للمحافظة على كل المكونات والبنية الاجتماعية والثقافية للمجتمعات والتي تعطيها خصوصيتها وتميزها عن غيرها من المجتمعات وهذه الخصوصية هي التي تشكل عاملا مهما في استقطاب السائحين، كما تسعى التنمية المستدامة أيضا إلى الاستعمال الرشيد لهذه الموارد السياحية قصد منح الأجيال القادمة الفرصة للاطلاع والانتفاع من الموروث الثقافي وحماية البيئة، و"تسعى السياحة المستدامة إلى ضمان العدالة فيما بين الأجيال فالاستهلاك المغال فيه للموارد السياحية في الوقت الراهن قد يحد من فرص الصناعة ذاتها في المستقبل.

فالسياحة المطردة (المستدامة) تحافظ على موارد المقصد السياحي لكي يمكن استخدامها والاستفادة منها بواسطة الأجيال القادمة، بينما تظل تحقق منافع للجيل الحالي".²⁸

ومن أجل دعم التنمية السياحية فقد أقر القانون حزمة من الإجراءات لتكوين مورد بشري مؤهل للقيام والإشراف على المراكز والمهن السياحية، وهذا من خلال:

- "الإدماج المكثف لحرف السياحة ضمن المنظومة الوطنية للتكوين المهني.
- إنشاء مؤسسات تكوينية جديدة في مختلف الشعب السياحية.
- إنشاء مؤسسات تكوين في السياحة من طرف الخواص.
- إحداث بكالوريا مهنية في السياحة.
- فتح شعب في الاقتصاد السياحي على مستوى التعليم العالي".²⁹

6. مقومات السياحة الثقافية للجزائر

6.1 التراث الثقافي الجزائري

"يعتبر تراثا ثقافيا في أحكام القانون رقم 04/98 المؤرخ في 15 يونيو 1998: "جميع الممتلكات الثقافية العقارية، والعقارات بالتخصيص والمنقولة، والموجودة على أرض عقارات الأملاك الوطنية وفي داخلها المملوكة لأشخاص طبيعيين أو معنويين تابعين للقانون الخاص، والموجودة كذلك في الطبقات الجوفية للمياه الداخلية والإقليمية الوطنية الموروثة عن مختلف الحضارات المتعاقبة منذ عصر ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا.

²⁷ الجمهورية الجزائرية الجريدة الرسمية، (11 فيفري 2003)، (19)، ص 6.

²⁸ محيا زيتون، مرجع سابق، ص 262.

²⁹ الجمهورية الجزائرية الجريدة الرسمية، (11 فيفري 2003)، (19)، ص 7، 8.

وتعد جزءا من التراث الثقافي للأمة أيضا الممتلكات الثقافية غير المادية الناتجة عن تفاعلات اجتماعية وإبداعات الأفراد والجماعات عبر العصور والتي لا تزال تعرب عن نفسها منذ الأزمنة الغابرة إلى يومنا هذا".³⁰

إذن يتكون التراث الثقافي من جانبين: مادي يشمل كل أشكال العقارات الموجودة داخل التراب الوطني مهما كانت طبيعتها منذ عصر ما قبل التاريخ وإلى يومنا هذا، وجانب غير مادي يشمل النواتج الاجتماعية من عادات وتقاليد ومختلف الإبداعات التي تعبر عن هوية الأمة.

6. 2 المعالم الثقافية

تعتبر الجزائر أكبر دولة أفريقية تمتلك حدود برية وبحرية فهي من جهة بوابة لإفريقيا، ومن جهة أخرى معبر مهم نحو أوروبا، لذلك فقد عرفت خلال تاريخها دخول حضارات مختلفة النوميدية، الفينيقية الرومانية... إلى الإسلامية العثمانية فشكلت بذلك ملتقى لحضارات مختلفة أسست فيما بعد لتراث ثقافي مادي وغير مادي شكل بدوره عاملا مهما في بعث سياحة ثقافية سواء لأهداف علمية تتعلق بالثقافة والتاريخ وتستقطب الباحثين الجزائريين أو الأجانب، أو لهدف الاستكشاف والاطلاع.

إن التاريخ العريق للجزائر والذي يتشكل من تراث ثقافي وحضاري متميز، أسهم في بلورة وظهور نشاط سياحي مبكر في الجزائر، يرجعه البعض إلى بداية القرن التاسع عشر خلال الاحتلال الفرنسي، أين استقطبت الآثار والمعالم التاريخية اهتمام المتخصصين في الانثروبولوجيا والآثار، ويرجع هذا الاهتمام المبكر بالسياحة في الجزائر لامتلاكها كل مقومات السياحة الطبيعية والثقافية، وقد تم تصنيف عدة معالم ضمن التراث العالمي ومن أبرز المعالم المصنفة عالميا:

- قلعة بني حماد:

تعتبر قلعة بني حماد أحد المعالم الأثرية المميزة، وتقع هذه القلعة بالقرب من ولاية المسيلة، وهي تمثل مرحلة تاريخية لعمران دار الإسلام بصفة عامة وبلاد المغرب الأوسط بصفة خاصة، وقد حظيت هذه القلعة باهتمام الباحثين في التاريخ الانثروبولوجيا والآثار وغيرها من التخصصات، ويعتبر الفرنسي بولبلونشي أول من أجرى استكشافات بها، كما أدار الجنرال دوبايي الحفريات الأولى للقلعة بالإضافة إلى المؤرخ الفرنسي هادي روجي إدريس، وأيضا الأريكيولوجي الفرنسي ليسيانغولفان³¹، إن هذا الاهتمام العلمي والثقافي يعكس القدرة الاقتصادية التي قد تلعبها الآثار والمعالم التاريخية لاستقطاب السياح بصفة عامة والسياح ذوي التوجهات الثقافية والعلمية بصفة خاصة.

- مدينة تيمقاد:

تعتبر مدينة تيمقاد من أهم المعالم الأثرية والتاريخية التي تبرز حقبة هامة من تاريخ الجزائر، وهي مدينة أثرية رومانية استهوت قلوب الأثريين والكتاب والمهندسين، تأسست في سنة (100-103م) بأمر من الإمبراطور تراجان تاريانوس³² ويمثل هذا المعلم التاريخي تحديا

³⁰ الجمهورية الجزائرية الجريدة الرسمية، (11 فيفري 2003)، (19)، ص 4.

³¹ عمارة علاوة، (2008)، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ص ص 83، 84.

³² محمد العيد مطمر، (2001)، رحلة إلى تيمقاد، عين مليلة، الجزائر: دارالهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ص 31.

حقيقيا للسياحة المستدامة نظرا لاستقباله جمهور مهرجان تيمقاد الدولي والذي قد يكون أكثر من الطاقة الاستيعابية للمسرح ما قد يؤدي إلى تدهور وضعيته، وهو يؤدي إلى نتائج سلبية كتخصيص ميزانيات للترميم، وقد يفقد المعلم أيضا خصوصيته وجاذبيته إذا لم تتم عملية الترميم وفقا للمعايير المعتمدة، وفي ظل هذه الظروف يتطلب تسيير هذه المعالم مورد بشري متخصص.

- القصة:

تعتبر قصبة الجزائر أحد أكبر وأجمل العمائر التاريخية في الجزائر على الإطلاق، لما حوته من أقسام متباينة ومختلفة، سواء من ناحية البناء والاستعمال، أو من ناحية الزخارف والأشكال والتناسق في ترتيب هذه الأقسام، وتعتبر أيضا أهم موقع تاريخي لارتباطها بأحداث سياسية واقتصادية وعسكرية.³³

بالإضافة إلى هذه المعالم التاريخية والأثرية تملك الجزائر رصيدا كبيرا من الآثار التي تسمح لها بأن تكون وجهة للسياحة الداخلية والخارجية، "حيث تحتوي ولاية باتنة لوحدها على 550 موقع أثري، 18 ثمانية عشرة منها ضمن التصنيف الوطني"³⁴ (مطمر، 2001، صفحة 25)، هذا بالإضافة إلى قصور بني ميزاب وجسور قسنطينة والطاسيلي، ولا تكاد تخلو أي ولاية من آثار رومانية أو فينيقية أو بيزنطية أو إسلامية وغيرها من الحضارات التي عرفتها الجزائر، وهو ما يبرز الإمكانات التي قد تستغل وتوظف لخدمة الأهداف السياحية الثقافية العلمية، إذا تم استغلالها وفقا لبرامج تنموية شاملة ومخططة، تراعي مختلف خصوصيات النسق الثقافي والاجتماعي للمجتمع الجزائري، وتعمل على المحافظة أيضا على المكونات المادية للتراث الثقافي المتنوع.

7. خاتمة

أصبحت السياحة تمثل عاملا هاما في تحقيق التنمية الشاملة والمستدامة نظرا للإيرادات الهامة التي باتت تحققها وهو ما دفع الدول والحكومات لإعادة النظر في البرامج والمخططات التنموية في القطاع السياحي وخاصة بالجوانب المتعلقة بالشراكة مع القطاعات ذات العلاقة مع السياحة كالبينة والثقافة والتي تشكل عاملا هاما في استقطاب السائحين وتفعيل القطاع السياحي، إلا أن الجانب السوسيو ثقافي للسياحة قد يصطدم ببعض المعوقات التي تتطلب المتابعة العلمية والتشريعية والاجتماعية لحماية الموروث الثقافي المادي وغير المادي من التهريب والتخريب والاضمحلال والتلاشي.

إن السلبات التي قد تنتج عن التوجهات الاقتصادية للسياحية التي لا تراعي البيئة الاجتماعية الموجودة فيها، سيكون لها تأثيرا مباشرا على البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمعات نتيجة عدم مراعاة الخصوصيات المميزة لها، وهو ما يتطلب سياسات وبرامج تنموية تأخذ بعين الاعتبار النسق الاجتماعي مع إشراك المجتمعات المحلية في التخطيط السياحي ما يمنح الفرصة للثقافات المحلية بالاحتكاك مع الثقافات الوافدة للسياحة دون أي انعكاس أو تأثيرات.

³³ علي خلاصي، (2007)، قصبة مدينة الجزائر، الجزائر: دار الحضارة للطباعة و النشر والتوزيع، ص ص 5,6.

³⁴ محمد العيد مطمر، مرجع سابق، ص 25.

إذن تعتبر السياحة الثقافية فرصة اقتصادية حقيقية للجزائر بسبب توفر مختلف إمكانيات الإقلاع، سواء المتعلقة بتوفر الموروث الثقافي المادي وغير المادي، أو الموارد البشرية ومختلف المقومات الأساسية لبعث اقتصاد سياحي ناجع، بشرط الاعتماد على الكفاءات وبرامج تتماشى مع الثقافة المحلية وتحافظ عليها مراعاة لحق الأجيال القادمة، وتسهم من جهة أخرى في مساعدة الاقتصاد الوطني .

وبالإضافة إلى ما سبق تبقى للثقافة السياحية وثقافة المجتمع المحلي ومكوناته دورا هاما في ترسيخ وتعزيز البيئة الاجتماعية الحاضنة لثقافة تسمح بازدهار النشاط السياحي، ما يعكس الأهمية البالغة لدور المجتمع في التنمية المستدامة في كل القطاعات بدون إستثناء وللسياحة بصفة خاصة.

8. قائمة المراجع:

• الكتب المنشورة:

1. ابراهيم العيسوي. (2001). التنمية في عالم متغير دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها. مصر: دار الشروق.
2. بن نبي مالك. (2002). مشكلات الحضارة تأملات. دمشق: دار الفكر.
3. بينيتو طوني . (2010). مفاتيح اصطلاحية جديدة :معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع. (الغانمي سعيد، المترجمون) لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
4. زيتون محيا. (2002). السياحة ومستقبل مصر بين إمكانيات التنمية ومخاطر الهدر. مصر: دار الشروق.
5. الزيدي وليد كاصد . (2013). سياسة فرنسا الثقافية دراسة حالة لبنان 1959-1986 . بيروت: منتدى المعارف.
6. طلعت مصطفى، وآخرون السروجي . (2001). التنمية الاجتماعية المثل والواقع. مصر: مركز نشر وتوزيع الكتاب الجامعي.
7. علاوة عمارة. (2008). دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية .
8. علي خلاصي. (2007). قصبة مدينة الجزائر. الجزائر: دار الحضارة للطباعة و النشر والتوزيع.
9. عمر أحمد مختار . (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة . القاهرة : عالم الكتب.
10. محقق داماد مصطفى . (2001). الحقوق الإنسانية بين الإسلام والمجتمع المدني. لبنان: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.
11. محمد العيد مطمر. (2001). رحلة إلى تيمقاد. عين مليلة، الجزائر: دارالهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
12. منال شوقي عبد المعطي أحمد. (2011). أسس التخطيط السياحي. مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية.
13. الويزة قويدر . (2010). اقتصاد السياحة وسبل ترقيتها. الجزائر: جامعة الجزائر.

• الاطروحات والرسائل الجامعية:

1. حميد بوعموشة. (2012). دور القطاع السياحي في تمويل الاقتصاد الوطني لتحقيق التنمية المستدامة:دراسة حالة الجزائر. مذكرة ماجستير: جامعة فرحات عباس سطيف.

2. دليلة طالب، وعبد الكريم وهراني. (23/22 نوفمبر 2011). السياحة احد محركات التنمية المستدامة: نحو تنمية سياحية مستدامة. الملتقى الدولي الثاني حول الأداء المتميز للمنظمات والحكومات، الطبعة الثانية نمو المؤسسات والاقتصاديات بين تحقيق الأداء المالي وتحديات الأداء البيئي. الجزائر: جامعة ورقلة.

● المقالات والأبحاث المنشورة بالمجلات العلمية:

1. عبد الجليل هويدي. (ديسمبر 2014). العلاقة التفاعلية بين السياحة البيئية والتنمية المستدامة. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، الجزائر(9)، ص 223.

● القوانين الحكومية والجرائد

1. الجمهورية الجزائرية الجريدة الرسمية. (11 فيفري 2003). (19).
2. البشير بن حليمة. (2017). أثار قلعة بني حماد تتعرض للسرقة والاحتفال. جريدة الخبر اليومية.